الرسالة

(٢ كورنثوس ٦:١٦–١٨؛ ١:٧)

يا إخوةُ أنتمُ هيكلُ اللهِ الحيِّ كما قالَ اللهُ إنّي سأسكُنُ فيهم وأسيرُ فيما بينَهم وأكونُ لهم إلهًا وهم يكونونَ لي شعبًا* فلذلكَ اخرُجوا من بينهم واعتزلوا يقولُ الربُّ ولا تَمَسّوا نَجِسًا* فأقبلَكم وأكونَ لكم أبًا وتكونونَ أنتم لي بنينَ وبناتٍ يقولُ الربُّ القديرُ* وإذ لنا هذه المواعِدُ أيُّها الأحبَّاء فَلنُطهِّرْ أنفُسَنا من كلِّ أدناسِ الجسدِ والروحِ ونكمِلِ القداسةَ بمخافةِ الله.

الإنجيل

(متى ١٥: ٢١–٢٨)

في ذلك الزمان خرجَ يسوعُ إلى نواحي صورَ وصيدا وإذا بامرأةٍ كنعانيَّةٍ قد خرجتْ من تلك التُخومِ وصرختْ إليهِ قائلةً إرحمني يا ربُّ يا ابنَ داود فإنَ ابنتي بها شيطانٌ يعذِّبُها جدًّا* فلم يُجِبْها بكلمةٍ. فدنا تلاميذه وسألوهُ قائلين إصرِفْها فإنّها تصيحُ في إثْرِنا* فأجابَ وقالَ لهم لم أُرْسَلْ إلاَّ إلى

العدد ٢٠٠٢/٧

الأحد ١٧ شباط

تذكار القديس المعظم في الشهداء

ثاودورس التيروني

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر الرابع

الكنعانية

ترد حادثة المرأة الكنعانية، الوثنية، التي من نواحي صور وصيدا، في الإنجيل بحسب الرسول متى (١٥:٢١–٢٨) مباشرة بعد حوار ساخن مع الكتبة والفريسيين من أورشليم (١٥: ١–٢٠) الذين جادلوا يسوع بسبب أكل التلاميذ الخبز دون أن يغسلوا أيديهم. جواب يسوع ارتكز على ان العبادة الحقّة هي في القلب الطاهر: «يقتربُ إليَّ هذا الشعبُ بفمِهِ ويكرمُني بشفتيهِ وأمَّا قلبُهُ فمُبتعِدٌ عني بعيدًا... ليسَ ما يَدخُلُ الفمَ يُنجِّسُ الإنسانَ، بل ما يَخرُجُ من الفمِ هذا يُنجِّسُ الإنسانَ... ما يخرُجُ من الفمِ فمِنَ القلبِ يصدُرُ. وذاكَ يُنجِّسُ الإنسانَ. لأنْ مِنَ القلبِ تخرُجُ أفكارٌ شريرةٌ قَتْلٌ، زنًى، فِسْقٌ، سرْقةٌ، شهادةُ زورٍ، تجديفٌ. هذه هي التي تُنجِّسُ الإنسانَ. وأمَّا الأكلُ بأيدٍ غير مغسولةٍ فلا يُنجِّسُ الإنسانَ» (متى ١٥:٨–٢٠).

لدينا إذًا صورة الفريسيين المتمسكين بقشور الناموس والشريعة، والمهملين ما هو أهم من ذلك: أن يكون القلب مع الله، وكأننا بهذا الحوار مقدمة لحادثة المرأة الكنعانية، إذ فيه يرفض العبرانيون الرب، فيكون هذا سببًا إضافيًا لقبول الرب مَنْ هم خارج أهل الشريعة على أساس قلبهم، ولكي يعلّم الرب ان الذين خارج أهل الشريعة قد يكونون أفضل ممَّن يدّعون إتّباعها.

في المقابل، تظهر المرأة الكنعانية الوثنية، المعتَبَرَة نجسة لأنها وثنية، أفضل بكثير من المُعتَبَرين من شعب الله، لأنها وضعت رجاءها كليًا على الرب يسوع، وأظهرت تواضعًا هائلاً أمامه، رغم تشبيه وضعها بوضع الكلاب أمام موائد الأسياد. آمنت وألحّت فنالت ما أرادت. العبرانيون مجَّدوا الله بتقواهم الكاذبة وسمعوا تعنيفًا من الرب:«يا مراؤون»(متى١٥:٧)، أما هي فسمعت يسوع يقول لها: «يا امرأةُ عظيمٌ إيمانُكِ. ليَكُن لكِ كما أردتِ» (متى ١٥:٢٨).

من يتمعن في قراءة نص حادثة المرأة الكنعانية يتعجب من موقف الرب يسوع الصامت أمام توسلاتها وصراخها: «ارحمني يا رب، يا ابنَ داودَ فإن ابنتي بها شيطان يعذبها جداً» (متى١٥:٢٢).

يتفق القديسان يوحنا الذهبي الفم وغريغوريوس بالاماس في تفسير هذا

الموقف، فيشددان على أن الرب كان يريد أن يبرز بالأكثر إيمان الكنعانية وفضيلتها وتواضعها أمام الجميع، وهو العارف بالكلى والقلوب. لقد ظهر إيمانها من خلال إلحاحها. لم يجبها الرب بشيء فازدادت صراخًا، ولما طلب التلاميذ منه أن يصرفها لأنها تزعجهم، «أتت وسجدت له قائلةً أغثني يا رب» (متى ١٥:٢٥). زجرها بطريقة مهينة، أما هي فبنفس جريئة قالت له «نعم يا رب» وذللت نفسها أمامه. قبلت أن تتشبّه بالكلاب إن كان الأمر يوصلها إلى المبتغى. القديس الذهبي الفم يقارن بينها وبين اليهود الذين كانوا يقولون «إننا ذريّةُ إبرهيمَ ولم نُستَعْبَدْ لأحدٍ قطُّ» (يو٨ :٣٣)، و«لنا أبٌ واحدٌ وهو اللهَ» (يو٨:٤١). لكنهم جحدوه وصلبوه في النهاية. بينما لم تخجل هذه الكنعانية من أن تعترف أنها خاطئة وانها نجسة كونها أممية، بل أصرت أن تعترف بيسوع أنه سيِّد ورب، «وليسَ أحدٌ يقدرُ أن يقولَ يسوعُ ربٌ إلاّ بالروحِ القدس» (١كور١٢:٣).ذهبت وسجدت أمام الرب وأعلنت مع صاحب المزامير: «أعترفُ لكَ بخطيئتي ولا أكتُمُ إثْمي. قلتُ أعترفُ للربِّ بذنبي وأنتَ رَفَعْتَ آثامَ خطيئتي» (مز٣٢:٥). عندما رأى يسوع عظم إيمانها وتواضعها قال لها: « يا امرأةُ عظيمٌ إيمانكِ لِيكُنْ لكِ ما تُريدين» (متى ١٥:٢٨). الإنجيلي مرقس الذي يسرد نفس الحادثة يقول: «لأجلِ هذهِ الكلمةِ اذهبي. قد خرجَ الشيطانُ من ابنتكِ» (مر٧:٢٩). بسبب كلماتها التي قالتها للرب، أعطاها الرب ما تريد.

إيمان المرأة الكنعانية يُشبه إيمان قائد المئة الروماني (الوثني) الذي قال ليسوع انه غير مستحق أن يدخل تحت سقف بيته، فشفى يسوع غلامه (متى ٨:٥-١٣)، ويشبه إيمان المرأة النازفة الدم التي قالت في نفسها: «إن مسستُ ثوبَهُ فقط شُفيت» (متى ٩:٢١)، ويشبه إيمان المرأة السامرية وتواضعها (يو٤) التي لم تخجل أن تقول ليسوع ان «ليس لي زوج» (يو ٤: ١٧).

المرأة الكنعانية تعلِّمنا المثابرة على الصلاة والصبر والتواضع والتخشع. قد يبدو لنا ان الرب لا يستجيب طلبتنا وصلاتنا. لكن هذا دافع لنا لكي نضاعف إيماننا ونقترب منه أكثر ونسجد له. المهم أن لا نيأس، ولا بد أن يرى الله قلبنا فيبلسم جراحه بطرقه المناسبة.

القديس بوليكاربوس أسقف إزمير

القديس بوليكاربوس الذي تُعيِّد له الكنيسة في الثالث والعشرين من شهر شباط، هو أسقف إزمير الذي كتب له القديس إغناطيوس الإنطاكي، وهو في طريقه إلى الاستشهاد، رسالة قيِّمة ما زالت محفوظة في تراثنا الآبائي حتى الآن. عايش القديس بوليكاربوس الرسل وتتلمذ عليهم، ولا سيّما منهم الرسول يوحنا اللاهوتي، على ما ينقل المؤرخ الكنسي أفسافيوس والقديس إيريناوس. حظي بوليكاربوس بكرامة رفيعة في وسط شعبه لكونه تلميذاً لرسل السيد ونائلاً أسقفيته على إزمير منهم، أو من الرسول يوحنا نفسه. من الدلالات الأخرى على ما كان للقديس من مكانة، ذهابه إلى روما في منتصف القرن الثاني والحوارات التي أجراها هناك مع أنيكيتوس بابا روما بشأن العديد من المسائل الكنسيّة، لا سيّما منها مسألة تحديد تاريخ التعييد للفصح، المختلف عليها بين الكنائس آنذاك. التاريخ الكنسي لأفسافيوس ينقل أن أي اتفاق بهذا الشأن لم يحصل بين الراعيين، لكنهما اشتركا

الخرافِ الضالَّةِ من بيتِ إسرائيل* فأتتْ وسجدتْ لهُ قائلةً أغِثْني يا ربُّ* فأجابَ قائلاً ليس حسنًا أن يُؤخَذَ خبزُ البنينَ ويُلقى للكلاب* فقالتْ نعم يا ربُّ فإنَّ الكلابَ أيضًا تأكُلُ منَ الفُتاتِ الذي يسقطُ من موائدِ أربابها* حينئذٍ أجابَ يسوعُ وقال لها يا امرأةُ عظيمٌ إيمانُكِ فليكُنْ لكِ كما أردتِ* فشُفيتِ ابنتُها من تلك الساعة.

تأمل

الحياة هي طريق يسلكه الإنسان للوصول إلى الغاية التي رتّبها الله له. فكلّنا مسافرون نمخر عباب بحر هذا العالم تاركين الرياح تجري بنا كما تشاء،حتى نصل بهدوء وسلام إلى الميناء الهادئ. فالحياة تمضي بنا بخطى ثابتة، دون أن نشعر بها أحيانًا، نحو الغاية التي يريدها الله من كل إنسان.

لا بدّ لك أيها الإنسان أن تقتنع من هذه الحقيقة، بأنك في هذه الحياة مسافر يبغي عالم الأبد، وبأن كل شيء ستتركه وراءك. إنّك أثناء سفرك في هذه الحياة تشاهد أشجارًا وأغراسًا، جداول وأنهارًا، وأحجارًا وصخورًا، وحيوانات مفترسة وحيوانات أليفة، وحيّات وزحافات، وأشواكًا ونتوءات. وكلّها تستوقفك قليلاً ثم تتركها وتستأنف

لتتابع مسيرة سفرك. هكذا الحياة فكلّ شيء فيها يمضي: السعادة والشقاء، فالسعادة هي لساعات قليلة والعذاب لن يدوم طويلاً.

فالحياة هي طريق يسلكه هذا الإنسان وذاك، وأيضًا تسلكه قوافل البشر بتتابع واستمرار، ودون توقّف البتّة.

«اهتم لذاتك» ولست أعني أن تهتم لما هو لك أو لما حواليك بل أن تهتم لنفسك لا غير. فنحن شيء، وما هو لنا شيء آخر، وما حوالينا شيء آخر إنما نحن بالنفس والروح لأننا كُوِّنّا على صورة الخالق. وأما ما هو لنا فهو الجسد وحواسه. وما حوالينا فهو المال والأشغال وسائر مقتضيات العيش.

فما معنى قول الكتاب إذن؟ – هو أن لا نهتم للجسد ولا نسعى بكل وجه وراء ما يعود لمصلحته كالصحة والجمال ولذائذ الشهوات وطول العيش. لا تبهرك الفضة والمجد والعظمة ولا تأبه لأشياء جُعلت لخدمة هذه الحياة الفانية فتستعظمها وتستخفّ في سبيل الحرص عليها بحياتك التي تفضلها كثيرًا. بل «اهتم لذاتك» أي لنفسك فإياها جَمِّل وبها اعتنِ بحيث تنبذ دونها

معًا في الخدمة الإلهية وتناول بوليكربوس القدسات من يد بابا روما، وافترقا فيما بعد بمحبة وسلام.

يحفظ لنا التراث رسالة من كنيسة إزمير إلى المؤمنين في فريجية الصغرى تحكي بالتفصيل استشهاد بوليكربوس البطولي، بُعيد رجوعه من روما، وتحديدًا في ٢٣ شباط سنة ١٥٦، يوم السبت العظيم. استشهاد بوليكربوس تم حرقًا بالنار، زمن ولاية حاكم آسيا ستاتيوس كوادراتوس الذي عرض على بوليكربوس النجاة مقابل أن ينكر المسيح ويذبح للأوثان. فما كان من القديس إلا أن بادره قائلاً «ستًا وثمانين سنة قضيتها في خدمة المسيح ولم يظلمني يومًا بشيء. فكيف لي إذًا أن أهين مَلِكي ومخلّصي؟». حتى أنه رفض أن يسمِّره الجلادون على خشب المحرقة قائلاً لهم:«الذي يقويني على احتمال النار سيمنحني القدرة على البقاء ثابتًا فيها دون مساميركم».

يُشار إلى أن الرسالة التي هي أقدم نص موجود يحكي أخبار شهيد، تتّسم بطابع تعليمي بحد ذاتها، بحيث أنها تخط أقدم تعليم عقائدي عن الإستشهاد وعلاقتنا بالشهداء والقديسين. فالشهيد يقتدي بالمسيح في آلامه وموته الطوعي.

جدّ بوليكاربوس، إبان أسقفيته، في محاربة الهرطقات ببسالة وإقدام وفي العمل الأبوي الدؤوب على هداية الضالين إلى السُبُل القويمة الخلاصية. الآثار الباقية في التراث من تعاليمه تدل على مبادئ أساسية متينة لما صار فيما بعد عقائد، لا سيّما فيما يختص بالتعليم الخريستولوجي وسر الفداء الحاصل على الصليب، والتنظيم الكنسي ومزايا الرعاة، إلى التعليم حول أمور الفضيلة عيش المسيحية بحق.

+ رسائله:

يرد في تاريخ الكنيسة لأفسافيوس أن بوليكاربوس كتب العديد من الرسائل إلى الجماعات المسيحية المحيطة برعيته، وإلى البعض من إخوته الأساقفة، بغية إرشادهم وتثبيتهم وتعزيتهم. بَيد أن النص الوحيد المتبقي لنا من كتابات هذا القديس، هو رسالة من أربعة عشر فصلاً وجّهها إلى المسيحيين في فيليبي بُعيد استشهاد القديس أغناطيوس الإنطاكي. فقد طلب مسيحيو فيليبي إلى بوليكاربوس أن يبعث إليهم بنسخة من رسالة أغناطيوس إليه، أرسلها لهم مرفقة بخطاب تعليمي خطّه بيده. بعض الآباء اللاحقين يصف الرسالة بالهامة والمفيدة والمليئة بالنصائح والإرشادات الثمينة بأسلوب بسيط وواضح. لا شك أن رسالة بوليكاربوس لا تتميّز بأسلوب معيّن أو جمال أدبي لافت، إلاّ أنها محبوكة بالكتاب المقدّس حبكًا، وكثيرًا ما تستند إلى رسالة رعائية كتبها القديس اقليمندس إلى الكورنثيين، حتى انه اقتبس بعض المقاطع حرفيًا دون تسميتها. وتبقى الدلالة على ما لا ريب فيه، وهو أن الرسالة تنقل لنا صورة جلية عما كان في الكنيسة آنذاك من عقيدة وتنظيم كنسي وأهميّة لعيش المحبة والرحمة وأعمال البر، والسلوكيات المسيحية التي ترضي الله.

أ– في العقيدة: ترسم الرسالة معالم واضحة للعقيدة الخريستولوجية، لا سيما ما يختص بالتجسد الإلهي وموت السيد على الصليب وقيامته ومجيئه الثاني، إلى سواها من المبادئ الإيمانية مثل قيامة الأموات والدينونة، ضد «التعاليم الخادعة» التي كانت بدأت تنتشر في تلك الأيام: «فكل من لا يعترف بأن

يسوع المسيح قد جاء بالجسد هو مضاد المسيح (Antichrist)، وكل من لا يعترف بالشهادة على الصليب هو من الشيطان، ومن يحوّر كلام الرب من أجل رغباته ومصالحه الخاصة، ولا يعترف بقيامة الموتى وبالدينونة هو بكر إبليس» (١:٧).

ب – في التنظيم: ليس في رسالة بوليكاربوس ما يشير إلى وجود أسقف على فيليبي، لكنه يحث المؤمنين على إتمام الطاعة الواجبة للكهنة والشمامسة «وكأنها الطاعة لله وليسوع المسيح». قد يستدل من هنا على أن كنيسة فيليبي كان يرعاها مجمع من الشيوخ (الكهنة). لهؤلاء يوجّه القديس في رسالته إرشاداته حول ما ينبغي أن يتحلى به الكاهن من مزايا فيقول: «على الشيوخ أن يكونوا أيضًا شفوقين رحماء نحو الجميع.عليهم أن يجهدوا في العمل على إعادة الضالين، أن يزوروا المرضى ولا يهملوا الأرملة واليتيم والفقير، معتنين بالأمور الحسنة أمام الله وأمام الناس؛ كما عليهم أن يجتنبوا الغضب ومحاباة الوجوه والحكم الخاطئ، أن يحفظوا أنفسهم من محبة المال ولا يصدّقوا بسرعة ما يُقال عن شرور الآخرين، وأن لا يكونوا قساة في حكمهم على من يخطئ، واضعين نصب أعينهم أننا كلنا معرّضون للخطيئة» (١:٦).

ج– في أعمال الرحمة: إلى جانب أعمال البِر والفضيلة التي يحث عليها القديس على مدى رسالته، يحتل الإحسان في تعليم بوليكاربوس مكانة عالية، إذ إن المؤمن المحسن يصبح على مثال الرب نفسه، وبأعمال الرحمة والمحبة يُظهر صلاح سيده، تشديدًا للمؤمنين وتشجيعًا للمترددين وآية من آيات مجد الله للأمم والغرباء. يقول: «متى قُدّر لكم أن تصنعوا الإحسان لا تتأخروا، فالإحسان ينجّي من الموت. كونوا خاضعين بعضكم لبعض، واحفظوا السلوك الحسن بين الأمم والغرباء عن الإيمان فتُمتدحون من أجل أعمالكم الصالحة، لئلا تكونوا سببًا لإهانة الرب، لأنه ويل لمن يُشتَم اسم الرب بسببهم. علّموا الجميع الوداعة التي تعيشون فيها» (١٠:٢–٣).

د– **في الصبر والرجاء**: فصلان كاملان من الرسالة،وآيات عديدة في فصول أخرى، خصصها بوليكاربوس للصبر المدعوم بالصوم والصلاة، تمجيدًا للرب يسوع الذي «حمل خطايانا في جسده على الصليب وهو لم يفعل خطيئة (...) لكنه احتمل كل شيء من أجلنا لنحيا نحن فيه». المؤمن الصابر يتشبه بصبر السيد له المجد، الذي «أعطانا هو المثل ونحن آمنّا به».يتمثّل بوليكاربوس في حثّه على الصبر والرجاء بما عاينه من مآثر القديسين، وهو يتخذها مثالاً حيًا ينبغي أن يُحتذى، إذ يقول: «أرجوكم جميعًا أن تطيعوا كلام العدل وتمارسوا الصبر الذي عاينتموه في المغبوطين أغناطيوس وزوسيماس وروفوس، بل وفي الآخرين الذين منكم، وفي بولس نفسه وبقية الرسل، واثقين أن كل هؤلاء لم يسعوا باطلاً بل بإيمان وعدل (...) وحبًا بمن مات من أجلنا وقام» (٩:١–٢).

ه–الكنيسة والدولة: في الرسالة إشارة لافتة إلى مسلك الكنيسة تجاه السلطات الزمنية. وقد يكون أهم ما في هذه الإشارة أن القديس يحث على الصلاة من أجل الحكام، والزمن آنذاك كان زمن اضطهاد وتنكيل وجحود. يوصي القديس: «صلّوا من أجل الملوك والحكام والأمراء، صلّوا من أجل الذين يضطهدونكم والذين يبغضونكم ومن أجل أعداء الصليب، حتى تكون ثماركم واضحة وتكونوا كاملين في الله» (١٢:٣).

بتيقّظك كل لوثة ناجمة عن الإثم وتطهّرها من كل غضاضة تلحق بها بسبب المعصية. حتى إذا ما كسوتها بجمال الفضيلة فاضت إشراقًا.

تفحّص نفسك مَن أنت. واعرف طبيعتك. إن جسمك لمائت وأما نفسك فخالدة. إنَّ فينا حياةً مزدوجة: حياةً جسدية سريعة الزوال وحياةً نفسية لا نهاية لها.

«فاهتم لذاتك» ولا تتعلق بالزائلات كأنها خالدة ولا تستخف بالخالدات كأنها زائلة. إستهن بالجسد فإنه يزول واهتم بالنفس فهي الشيء الخالد. ادرس ذاتك بكل تقصٍ حتى تعرف أن تقسم لكلٍ ما يوافقه. فللجسد القوت واللباس، وللنفس تعاليم التقوى والسلوك الحسن والتمرّن على الفضيلة وتقويم الأهواء.

فلا تسمن الجسم فوق الحدّ ولا تهتم بإفراط في شواغل الجسد «لأن الجسد يشتهي ما هو ضد الروح والروح يشتهي ما هو ضد الجسد. كلاهما يقاوم الآخر» (غلاطية ١٧:٥) فاحذر أن تفضل الجسد فتولي السلطان الأعلى للأدنى.

القديس باسيليوس الكبير